الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما اعلم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القبّاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة . اما للجهل بمؤلفيها او لتأخر ازمنتهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيته ، وعمدتي كتب الأقدمين المشاهير . ولنقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بينا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم، وان العرب لم يغلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والفعل ، وهجر اسم «العثمانية» ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلامية والعثمانية على التركية الا لعلي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بحصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقجورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم

وكان مما كتبه (اقجورا) في (تورك يوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته بالاختصار والاجمال :

«يجب ان نعمد الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ ولماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن المحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطا بعضها ببعض وراء ستار وهمي، وتحت اسم خلق بال !

« يجب علينا ما دام في استطاعتنا الحياة ان نعمد الى الجيش والاسطول والعلوم والآداب والشرائع والقوانين وكل شيء فنصبغه بالصبغة التركية المحضة (ليت شعري هل تدخل الشريعة الاسلامية في هذه الشرائع التي عناها ام هم في غنى عنها لان الله تعالى يقول « إنا انزلناه حكما عربيا » ؟)

« يجب ان نعلم اننا من أمة ظهر فيها قواد اعظم من نابليون . وعظماء اشهر من يوليوس قيصر ، وشعراء اكبر من هيغو . وان في استطاعتنا ان نفعل ما يفعله الجرمان والسكسونيون لحياة قومهم ، فلا ينبغي ان نظل مقيدين بالاوهام والخرافات الماضية »

وقد انهزم علي كمال بك امام حملات الغلاة واضطر الى مجاراتهم . واننا لنرى اشد كتاب العرب لهجا بالعربية لا يعدون غلاة بالنسبة الى الكتاب المعتدلين من الترك بل يعدون مقصرين ، وان جماعة حزب اللامركزية لم يجعلوا مسألة الجنسية العربية من موضوع حزبهم ، الا اذا كانت المحافظة على اللغة العربية بين اهلها يعد دعوة الى الجنسية العربية . ولهذا انكرنا على ذلك الكاتب العربي رميهم بالعصبية الجنسية التي ذمها ذما إسلاميا ، وجعلها هادمة للاسلام! كأن الاسلام الذي دخل فيه يموت بحياة لغته العربية ، ويحيا باللغة التركية !

استدللنا بتخصيص الحزب بهذا الذم و بسكوته عن غلاة العصبية التركية ، على انه لم يكتب ما كتب الا تزلفا وتهافا ، وجعل اسم الدين الاسلامي شبكة لصيد المال والجاه. ولو أنكر على أولئك الغلاة والمعتدلين في العصبية الجنسية ، واتبع هواه باضافة اللامركزيين اليهم ، واشراكه معهم ، لما اعتقدنا فيه كل هذا الاعتقاد

سلكت الجماعات العربية كلها مسلك الاعتدال فيما تطلبه لامتها من الدولة وفيما تنصح به للامة ، الا ما عرض لجماعة البصرة ، فقد كان في بعض كلامها شيء من الشدة ، ثم كان زعيمها السيد طالب بك النقيب ساعد الحكومة وعضدها في عقد الوفاق بينها و بين الامير عبد العزيز بن سعود أمير نجد ، وفي غير ذلك مما عهدته اليه من خدمتها في تلك البلاد ، وقد تبرع هو ووجهاء البصرة للاسطول وغير الاسطول بمبالغ قلما رأت مثلها الدولة من بلد آخر . على انها لم تجبهم الى شيء مما طلبوه من الاصلاح . فكان ذلك دليلا على ان أشد العرب في ولايات الدولة شكيمة ، وأقواهم عصبية ، لا يني ولا يقصر في خدمتها ، اذا هي أظهرت الثقة به ، وعهدت اليه بعمل يعمله .

الجنسية اللبنانية

نعم ان بعض الجرائد والجمعيات اللبنانية ، قد غلت في الدعوة الى الانسلاخ من كل صفة عثمانية ، والاستقلال بجنسية لبنانية لا عربية . فلبنان يتمتع باستقلال داخلي لا يشاركه في مثله جبل من الجبال ، ولا سهل من السهول ، ولا ولاية ولا مملكة في الارض ، حتى قال الدكتور يعقوب صروف — وهو من يفتخر لبنان بمكانه من العلم والفلسفة ومعرفة شؤون العالم — : إن كل تغيير يطرأ على نظام لبنان يكون شرا ، اذ لا خير مما هو عليه . ولكن كثيرا من اللبنانيين لا ينظرون الى هذه النعمة بالعين التي ينظر بها هذا العالم الخبير ، فترى صراخ شكواهم قد ملأ فضاء امريكا الشمالية والجنوبية ومصر ، ونقلت الجرائد صداه الى كل قطر يوجد فيه لبنانيون أو سوريون . فمنهم من يدعو الى الاستقلال التام ، ومنهم من يدعو الى احتلال فرنسة للبلاد . ولهم عدة جمعيات سياسية يشترك فيها ألوف منهم في الوطن وفي ديار الهجرة من مصر الى أوربة وامريكة وغيرها من الممالك .

وقد قرأنا كثيرا من مقالاتهم وقصائدهم وانا شيدهم الاستقلالية فرأيناهم يفخرون فيها بعراقة هذا الجبل في الاستقلال ، وامتناعه على الفاتحين من جميع الامم والاجيال ، أي فهم لا يطلبون الآن ، الا الاستقلال الذي كانوا متمتعين به في كل زمان . وقد جددوا لانفسهم علما وطوابع بريد ، ومنهم من يختار الاستقلال تحت حماية فرنسة والاستظلال بعلمها . وقد عرف أهل الخافقين ما كان من مبالغة أهل الجبل في الحفاوة بضباط الاسطول الفرنسي والمظاهرات الولائية لهم عند ما زاروا بطرك الموارنة وبعض البلاد منذ اشهر ، اذ كان الاسطول في مياه بيروت . ويلي ذلك ما كان لمسيو جورج بيكو قنصل فرنسة عند ما زار لبنان مصاحبا لمسيو موريس بلرس احد اعضاء مجلس النواب الفرنسي . وهذا النوع من الاحتفالات والمظاهرات قد تكرر ، وتكررت الوعود من فرنسة بإعانة الجبل ما يريد .

لسنا نريد الاستقصاء التاريخي في هذه المسائل فنفصل القول فيه ، ولا الانتقاد على الغلو والشذوذ الذي كان يتخلل ذلك مما لا يعهد له نظير للاجانب في مملكة من الممالك ، فتتبع من ذلك ماقيل وما كتب ، وما انتقده بعض المسلمين في جرائد بيروت على ذلك وماورد به اللبنانيون على هؤلاء . وانما نريد أن نبين بالاجمال ان اللبنانيين منهم المعتدلون فيما يتقمون من الدولة وما يطلبون لبلادهم ، ومنهم الغلاة . وأن ذلك الكاتب العربي المدافع عن الجامعة العثمانية أو الجامعة الاسلامية ، المعادي للجنسيه العربية والوضعية (كاللبنانية) لم يكتب كلمة في انتقاد هؤلاء الغلاة من

أبناء وطنه ، وأين منهم مؤسسو حزب اللامركزية ، الذين لم يدخلوا حزبهم في باب مباحث المسألة الجنسية .

وانا نثبت ما قلناه عن اللبنانيين أولا بنشر ماجاء في جريدة الهدى التي تصدر في نيويورك من مطالب جمعية النهضة اللبنانية التي يرأسها مدير تلك الجريدة وهذا نصه :

من مبادئ النهضة اللبنانية ومنازعها

« لكل امرئ من دهره ما تعودا » وما تعودناه ان نصون الوعد فلا نخلفه ، والعهد فلا نخفره ، وان نكث الناكثون ، وعبث العابثون ، مستأنسين بايام نرجو ان تنقضي على سلام ، فلا يلوم فيها احد ، بما يحيكه من الفتن والفتك .

أرسلنا في « الاغراض من سياحتنا » كلمة ، ونرسل الآن في بعض مبادئ النهضة اللبنانية أخرى نحن دون احد من الناس المسئولون عنها .

كنا في رحلتنا نبشر بهذه المبادئ بلساننا ، ونحن الآن نبشر بها بقلمنا ، الى ان تعود الخطابة ، فنتوب عن الكتابة .

اللبنانيون مظلومون وظالمون — مظلومون لان السلطة ضعيفة ضاغطة وجائرة ، وظالمون لانهم وهم تحت الضغط والجور يتنابذون ويتطاحنون مؤثرين الخصوصيات على العموميات . فيجب على خدمتهم — ونحن منهم — التجرد في النصح لهم ، والدعوة الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم ، ووضع مبادئ يقوم عليها حزبهم السياسي الاكبر المدعو « النهضة اللبنانية » .

قد يقوم من اللبنانيين انفسهم من يناكر ويصادر ، ويشاكس ويعاكس ، ولكن لبنانية المناوئين هؤلاء غير صحيحة ، لقيامها على التعصب والتحزب والنكاية والغواية . والحق ظافر ، والاخلاص ظاهر .

فمن مبادئ النهضة اللبنانية

١ جمع اللبنانيين بدين الوطنية الشامل الكامل الفاضل « وغريق الاناجيل الطائفية ليسلم انجيل المسيح » وما يقال عن الانجيل يقال عن القرآن والتلمود وكل كتاب مقدس عند اهله . إلا ان ذلك لا يعني الكفر ولا التعطيل ، فليعبد الناس إلههم في كنيستهم وكنيسهم وجامعهم وخلوتهم وتحت افياء الشجر وظلال الصخور اذا شاؤا واغا فليجتمعوا (؟) بدين الوطنية الواحدة وهم المفلحون .

٢ استقلال المهاجرين « بنهضتهم اللبنانية » ما زال الاصلاح لا يتم الا عن طريق المهاجرة وعلى هم المهاجرين . الا ان هذا الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل

توحيد قوة المهاجرين ما بين القطبين وجعلهم قوة واحدة تسعى للاصلاح سعيا مجردا صادقا ، الى ان ينفلت المتخلفون من قيود الوظائف ، ويكشفوا عنهم غيوم السفاسف ، التي لا يزال حتى في المهجر اثر مجلوب (؟)

٣ ـ طلب امير اجنبي من دول أوربا الست الضامنة استقلال لبنان تكون غايته غايتنا ومصلحته مصلحتنا ، ولغتنا لغته ولغة اولاده ، فلا يكون دخيلا لا يشعر بشعورنا ، ولا يهمه وهو المرجع الاكبر في الجبل ان يتعلم لغة الناس فيه ليكون حكمه معقولا وقضاؤه مقبولا ـ امير اجنبي يكون لنا ما كان مثله لرومانيا و بلغاريا واليونان وألبانيا ولا تعود تهمه « المدة » تنقضي ، ينقضي الاهتمام بعد الابتداء بها بايام ـ الشعب المخامل الغافل يرضى بحاكمه وقاضيه دخيلا اعجميا لا يشعر معه ولا يفهم لغته ليقضي بالعدل ، ولا يهمه الا تناول المرتب و ربما الرشوة (؟) مباشرة وبواسطة ، وتفريق الناس لاتخاذ الاحزاب منهم. وقد يكون وضيعا قبل ان يصير حاكما بلقب كبير ومرتب كبير وتعطرس كبير وعمل صغير .

٤ ارجاع لواء لبنان اليه فان لكل شعب على شيء من الاستقلال راية او علما او لواء الا لبنان الذي كان منذ بدء التاريخ على كثير من الاستقلال حتى وقوع حوادثه الاخيرة التي زعم انه نال بعدها حكما ذاتيا لا نرى له اثرا

٥ «تمديد لبنان بعد تقلصه» اي اعادة حدوده الاولى والطبيعية اليه ما بين نهري القاسمية والعاصي. ومعنى ذلك ان تكون حدوده كما كانت على عهد امرائه الاصلاء من القاسمية الى جبل الشيخ الى لبنان الشرقي الى حمص فالنهر الكبير وهي حدود تتناول بيروت وطرابلس وصيدا والسهول المحيطة بهـ اللبنانيون لا يطلبون التوسع بهذه المطالب بل اعادة الحدود التي انتزعها المنتزعون اليهم

٦ اعادة الجمارك والبريد والبرق الى لبنان لان الدولة « ضمنتها من لبنان ضمانا » ولكنها لم تتقيد بشروط الضمان ولم تدفع الى لبنان ما هو من حقوقه ولكل صاحب ملك حق باستعادة ملكه الذي لا يدفع الضامن ضمانه او المستأجر اجرته ، فضلا عن ان اللبنانيين لم يطلبوا المرافىء لتكون بغير جمارك ، ولا البريد ليظل عمال الاتراك عابثين ومتلاعبين به و باقدس اسراره وغير حافلين بغير سرقة الحوالات المالية حتى من الكتب المضمونة و بمصادرة الصحافة الحرة لئلا يستفيق الشعب من غفلته

٧ جعل كل قدم تتكسر عليها امواج البحر المتوسط من شواطىء لبنان مرفأ له اذا شاء اللبنانيون عدم الاكتفاء بجونة والنبي يونس .

٨ اطلاق حرية الفكر والخطابة والكتابة وانشاء الجمعيات اذ لا يوجد في نظام لبنان ما يحول دون ذلك ، ولولا انتصاب التماثيل الشمعية المحركة بزنابرك (؟) المارب

والمفاسد في مجلس ادراة لبنان » — ان مجلس ادارة لبنان هو المجلس المشترع في الاصل ويجب ان يكون الاكفاء دون سواهم فيه لا ان يجاز القمار ، الذي هو على كل شعب متمدن عار ، لمجرد ان اعضاء مجلس الادارة مقمرون ... — ان حرية الصحافة ضرورية للبنان الا اذا رضي مجلس الادارة بان يكون خائنا متلاعبا خوفا من الانتقاد وعملا بالاستبداد ولكن كم يطول هذا الوقت ... — يجب ان يكون لبنان في الشرق مثل سويسرا في أوروبا فهل تحرك « التماثيل » لابقاء آثار وطنية لا آثار عار واقذار !!!

٩ اقامة مندوب في اوروبا يمثل اللبنانيين ويطالب بحقوقهم ولا يكون له اهتمام بغير مفاوضة الدول الضامنة استقلال لبنان ومفاوضة وزاراتها الخارجية بكل ما يحتاج اليه الجبل

١٠ اقامة «رقيب» على الحكومة اللبنانية في نفس لبنان يناصر الاكفاء المخلصين للوطن ويصادر الادنياء الخونة فيه وينشىء الفروع للنهضة في كل قضاء ومديرية وبلدة ويكون الحزب من ورائه يشد أزره وأزر كل مندوب أمين .

١١ ما زالت اكثرية المهاجرين من اللبنانيين فيجب (؟) ان يكون القناصل في كل مهجر من المهاجر من اللبنانيين او يستغني عنهم وتفاوض قناصل الدول الضامنة في امر حماية اللبنانيين ومصالحهم .

١٢ انشاء مدارس عمومية في لبنان تعلم فيها لغة البلاد قبل سائر اللغات وتنصرف فيها الهمم الى تعليم الصناعة والتجارة والزراعة والتعدين وغير ذلك مما يحتاج اليه اللبنانيون ويجب ان يوضع للبنان تاريخ صادق وخريطة صحيحة لمدارسه العمومية. والهدى الذي يقترح هذا الاقتراح يقوم بنفقات الطبع فلا نظل نتعلم تواريخ الامم الغربية وحدودها ونجهل تاريخنا وحدود بلادنا

١٣ وضع قانون عام للنهضة اللبنانية لا يجوز لاي فرع منها الزيادة عليه او الحذف منه الا في الترتيبات المحلية التي لا علاقة لها بالمبادىء ويجب ان يكون المركز الرئيسي للولايات المتحدة وكندا والمكسيك وجزائر الهند الغربية وبعض الجمهوريات اللاتينية واحدا في نيويرك اما في سائر المهاجر فيجب ان يكون النظام واحدا باستقلال كل بلاد بنهضتها وفروعها بشرط التقيد « النظام الواحد » والاشتراك في العمل الواحد على حد ما هي الولايات من « مركز الاتحاد » او المقاطعات من العاصمة (؟؟)

١٤ اصدار كتاب كل عام من اقلام ادباء النهضة اللبنانية في كل بقعة من العالم تكون مواضيعه الاصلاح والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم بفروعه وغير ذلك

عما تدعو اليه الحاجة ويجب ان تكون اسماء الاعضاء وبيان الدخل والخرج في آخر هذا الكتاب مع قانون النهضة المعدل .

١٥ تعديل قانون النهضة اللبنانية عند التمام كل مؤتمر تعقده يكون مؤلفا من نواب كل فرع مستقل او مرتبط في مدينة متوسطة وموافقة للجميع وقبل انتهاء مدة المتصرف بسنة (؟؟)

١٦ من حق كل مشترك في النهضة اللبنانية التصويت لمرشحي المركز الرئيسي مباشرة لمن كان غير منضم الى فرع او بواسطة الفرع الذي يكون منه ويعلن الترشيح مقدما

١٧ للمرأة الحقوق الوطنية بالانضمام الى النهضة اللبنانية وبانشاء الفروع لها او بالانتخابات عموما (؟)

١٨ السعي مع المتمولين لانشاء الشركات على اختلافها لا تكون النهضة فيها الا منشطة (؟) وتكون كل شركة مستقلة بادارتها ونظامها — الشعب الذي لا يجد في الشركات لا يستطيع الاتحاد في غيرها وبكل اسف نقول انه لا يكون ارتقى كثيرا .

١٩ العدول عن التبرعات للمشاريع المدعوة في الوطن عمومية وهي خصوصية لم يتم منها حتى الآن مشروع واحد على ما نعلم بعد جمع عشرات ألوف الدولارات ولا سيما ان (؟) فضل المهاجرين غير معترف به واذا كان من اعتراف فبتفوق عليهم (؟) ويذكر واجب لا ندري مصدره قبل الاعتراف المخلص بالمساواة (؟) — المهاجرون ساعدوا كل مشروع وهمي في الوطن منذ ثلاثة عقود من السنين ولم يساعدهم المخلصون بشيء حتى في اصلاح البلاد فمن العدل ان يعدلوا عن الاستمرار الى الخدمة الوطنية المتساوية وامام المهاجرين واجبات كثيرة من الضروري القيام بها — يجب العدول عن التبرعات الى ان يتم المشروع الوطني على الاقل

٢٠ تكافل المهاجرين والمخلصين في كل ما يعود على الوطن بالاصلاح والرقي

٢١ الاهتمام بالجندية اللبنانية اهتماما تنظر فيه النهضة

٢٢ بذل العناية التامة لانجاح قلم المهاجرة وصون اموال واعراض المهاجرين الجدد

٢٣ اذا كان المهاجرون مطالبين بالاموال الاميرية وسائر الضرائب فمن الواجب ان يكون لهم رأي في حكومتهم واعمالها وانتخاباتها .

٢٤ عضو مجلس الادارة « شيخ مشرع » او « سناتور » فمن العار على البلاد ان يكون غير متعلم ولا متهذب ان لم يكن متشرعا

٢٥ ترمي النهضة اللبنانية الى انشاء مدرسة داخلية في امريكا الشمالية لاحياء اللغة العربية و بهاء الوطنية ولتنشئة الصغار على المبادىء القويمة واهم ما ترمي اليه حمل مدارس الوطن على تعديل انظمتها فلا ينفق التلميذ ربع عمره قاتلا ويخرج بعد هذه الخسارة غافلا

٢٦ جعل لبنان مصيفا جميلا وقيا بالآداب والاخلاق مثله بالمناظر والماء والهواء (؟)

٢٧ تحويل افكار المهاجرين عن اقامة الدور والقصور — الا ما كان ضروريا — الى انشاء المعامل والعناية بالزراعة والصناعة واستثارة دفائن كنوز لبنان

٢٨ تعليم الاقتصاد على انواعه وترويج المصنوعات والمستغلات الوطنية

٢٩ حؤول اعضاء النهضة اللبنانية دون الخلافات الطائفية والقومية والبلدية والفصل بين المختلفين منهم في محاكم النهضة الخصوصية الا اذا عز التوفيق

٣٠ انشاء جريدة رسمية مساهمة في كل بلاد فيها مركز رئيسي للنهضة وانشاء مجلة نسائية عند الحاجة والمقدرة

٣١ الاهتمام بالغرف التجارية الضرورية للمهاجرين

٣٢ السعي لاقامة رؤساء اساقفة في المهاجر للطوائف الثلاثة امتيازات في الوطن لصون الشرف ومنع الاستئثار اسوة بالطوائف الممتازة في اوروبا

٣٣ مساعدة نوابغ اعضاء النهضة او نوابغ ابنائهم

٣٤ عدم مساعدة الكنائس الا اذا كان لها مدارس في الوطن والمهجر

٣٥ التظاهر مع رؤساء الاديان لخدمة الشعب والافادة بتنفيذ غاية الواقفين من الاوقاف دون تعرض لاي حق راهن لهم

٣٦ يجب اقامة وكلاء للنهضة حيث لا يوجد فروع او حيث يكون انشاء الفروع مبدئيا لا موجدا

٣٧ مرتب الدخول دولار واحد في السنة يجب ايصاله الى المركز الرئيسي من كل عضو في النهضة الا اذا شاء العضو التبرع. اما الفروع فلها ان تتفاهم مع الاعضاء على طرائق القيام بالنفقات المحلية (؟)

٣٨ ينتخب نائب الرئيس وامناء الصندوق والمديرون من التجار اما الرئيس فيجب ان يكون غير تاجر صونا لحقوق مصالح سائر التجار

٣٩ لا يقبل الامي — الذي لا يحسن القراءة — عضوا الا في السنين الخمس بعد اعداد القانون الاساسي ولا يقبل غير المستقيم على الاطلاق

٤٠ يجب ترغيب الشبان في تعليم الصناعات والفنون استعدادا لخدمة الوطن بما يكونون تعلموه

٤١ يعتبر مفشي اسرار الجمعية « خائنا » ويطرد بعد المحاكمة

٤٢ لا يقبل عضو في النهضة كل (؟) من يكون منتظما في سلك جمعية في مبادئها ما يخالف مبادئ النهضة اللبنانية

٤٣ للجمعية شارة وكلمة تعارف وقوانين تعرف من النظام العمومي بعد طبعه

٤٤ تسعى النهضة اللبنانية لاحياء ذكر النوابغ في العلم والوطنية من رجال ونساء بطبع نتاج قرائحهم واقامة تماثيل للعظماء منهم

٤٥ من مساعي النهضة اللبنانية انشاء المتاحف الوطنية وصون كنوز المخفريات والعاديات وحفظ كل ما يهتم القوم الراقي (؟) بحفظه

٤٦ يجب ان يكون لنا « جمعية علماء » تبذل منتهى العناية باحياء اللغة والفنون الجميلة ومنها تتفرع فروع العلوم والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك

هذا اهم ما مر في خاطرنا من المبادئ والمنازع التي تقبل المسؤولية عليها دون احد من الناس ولنا في اكثر هذه البنود كلام نتبسط فيه ونرجو ان يكون عند صادفي الوطنية مقبولا

الا اننا لا ندعي بان ما جئنا به يجب ان يعتبر فصل الخطاب وانما اردنا ان نوقف الشعب على الاهم من مرامي هذا الحزب الاكبر المدعو نهضة لبنانية وهو حزب لم يظهر مثله حتى يومنا هذا في العالم العربي ولا انضوى تحت لواء اي جمعية عربية العدد المنضوي تحت لوائه

في كل مصر وقطر انصار لهذا الحزب لا نعلن اسماء جميعهم لحوائل سياسية ونؤكد للبنانيين اننا بعد سنة واحدة نصبح ٢٥ الفا في المهاجر وحدها فمن كان مؤمنا بكتاب اللبنانية الشريف فليحمل لواءه بالاخلاص خفاقا، وينشر تعاليمه بالوطنية نطاقا ، والفوز للمجاهدين اه

(المنار) نشرنا هذه المقالة بحروفها ووضعنا بجانب بعض المفردات والجمل علامة (؟) للاشارة الى ما فيها من خطأ أو ضعف لفظي او معنوي (ولولا ان استحسنا انشاء الكاتب لما أشرنا الى ذلك) . ويظهر منها ان هذه الجمعية سياسية علمية اقتصادية ادبية خيرية سرية جهرية. وفي هذه المواد المنشورة تعارض وتهافت، يعني بعضها بملكة مستقلة ، كما بني بعضها على تابعية مبهمة . ولعل رئيس النهضة البارع يصححها ويرتبها بعد اعادة النظر فيها . ولا نسأله عن القوة التي يؤسس المهاجرون بها هذا الملك العظيم

ولنزد ما تقدم بيانا بنقل النبذة التالية من جريدة ابي الهول التي تصدر في البرازيل وهي :

أنا لبناني

ليقرأها اللبنانيون بتمعن ! !

لاتصبح الامة أمة حقيقية ولا يستتب لها كيان الا متى نمت في صدور اغلبيتها عاطفة حب الوطن ، وكان هذا الحب مؤسساً على معرفة تاريخها ، وما التاريخ الا قطعة من قلب الامة ، وما أبناء هذا الجيل الا أحفاد أجيال اذا تناسيناها مسخنا نفوسنا وانكرنا الاصول التي انما نحن لها فروع

ولقد اثبت المدققون ان قوة الشعوب الحقيقية قائمة في ايمانها الوطني ، وعرف العالم باجمعه ان العثماني قد غلب في الحرب البلقانية لانه فاقد هذا الايمان ، وان الامم البلقانية لم تنتصر ذلك الانتصار الباهر الا لامتلاكها القوة الادبية علاوة على قواها الحربية

ومن الثابت ان السرب مثلا قد انتصروا لانهم بأجمعهم — من القائد الكبير الى الجندي الصغير — كانوا قد رسموا في قلوبهم وأدمغتهم تذكارات تاريخهم القديم الذي طمست به سنوات الحكم العثماني عليهم

وفي سنة ١٩٠٧ تشكلت لجنة نيابية سربية لفحص حالة استعداد الجيش العامة ، وارادت اللجنة ان تعلم مقدار معرفة الجنود تاريخ بلادهم فوقعت القرعة على فرقة من الفرق المقيمة في اقصى ارجاء سربيا فالقيت على كل من الجنود الاسئلة العشرة التالية :

ما ذا تعرف عن كراليفتش ماركوا ؟ وعن ميلوش او بليتش ؟
عن الامير لازار ؟ وعن الامبراطور دوشان ؟
عن موقعة قوصوه ؟ وعن كاراجورجس ؟
عن الامير ميلوش وما هو اسم الملك الحالي ؟
واسم ولي العهد وهل يوجد سربيون خارج سربيا ؟

فأبدت الاجوبة ان مائة في المائة من الجنود يعرفون ان « كراليفتش ماركو » ملك سربيا وبطل التاريخ الوطني كان آخر حماة استقلال سربيا ضد الاتراك

ومائة في المائة يعرفون ان السربي « ميلوش او بليتش » قتل السلطان مراد في موقعة قوصوه سنة ١٣٨٩

وماتة في المائة يعرفون ان الامير « لازار » قاد الجيش السربي في معركة قوصوة وقتل فيها

وثمانون في المائة يعرفون ان الامبراطور « دوشان » المتوفى سنة ١٣٥٥ كان اعظم ملوك سربيا القديمة

وماتة في المائة يعرفون ان الامبراطورية السربية قد سقطت في موقعة قوصوه

واثنان وستون في المائة يعرفون ان « كراجورجس » كان زعيم الثورة الاولى السربية ضد الاتراك سنة ١٨٠٤ — ١٨١٣

وتسعة وخمسون في المائة يعرفون ان الامير « ميلوش » قاد الثورة الثانية التي ولدت منها سربيا الحالية سنة ١٨١٥

واثنان واربعون في المائة يعرفون اسم الملك الحالي

وثلاثة وعشرون في المائة يعرفون اسم ولي العهد

وثمانية وتسعون في المائة اجابوا انه يوجد سربيون كثيرون خارج سربيا

فهذه النتائج تثبت بوضوح ان الشعب السربي باجمعه كان — ساعة شهر الحرب على تركيا — مشتربا تذكارات تاريخه الوطني البعيدة والقريبة ومعتقدا بان أمنية سربيا الحالية قائمة بتوسيع حدودها لامتلاك الاراضي المغتصبة وجعل سربيا كافية لضم جميع السربيين

في هذه التذكارات كمنت قوة سربيا الحقيقية . وبهذه التذكارات انتصرت للتاريخ وانتصرت على تركيا

***

لم اروِ كل هذه المقدمات لاحدث القراء عن سربيا والسربيين . ولكنها أمثولة للامم التي تريد ان تكون وتحيا !

نحن معاشر اللبنانيين لانحلم بمحاربة تركيا او الثورة عليها . ولكن الاوان قد آن لنسعى في تعزيز جامعتنا القومية وتأليف أمة يعرفها العالم المتمدن « بالامة اللبنانية » . ومن اجل ذلك يجب ان نبدأ باعتناق الايمان الوطني وان نؤسس هذا الايمان على تذكارات تاريخنا البعيدة والقريبة

لقد انهكت مذابح الستين قوانا الوطنية ولكن نصف جيل مخلص كاف لتجديد الدم اللبناني

لو ألفت اليوم لجنة لبنانية واختارت بضعة قرى من قرى لبنان واخذت تطرح على ابنائها الاسئلة التالية :

من هم اجداد اللبنانيين ؟ هل فقد لبنان يوما استقلاله ؟
من هو أعظم أمير لبناني ؟ من اخرج محمد علي من سوريا ؟
ماهي حدود لبنان الاصلية ؟ ماهي المسئلة اللبنانية ؟
مارأيك بمذابح الستين ؟ ما الفرق بين المسيحي والدرزي ؟
من هو احسن متصرف واسوا متصرف حكم لبنان ؟
بماذا يجب ان يحلم اللبناني اليوم ؟

لو الفت هذه اللجنة وسألت هذه الاسئلة واجاب مائة في المائة ان أجداد اللبنانيين هم الفينيقيون غزاة البحر وتجاره واساتذة اليونان ومعدنو قسم من افريقيا الشمالية وايطاليا وفرنسا واسبانيا

ومائة في المائة : ان لبنان لم يخضع يوما لدولة من الدول التي اجتاحت سوريا خضوعا تاماً وانه لايستطيع الحياة إلا مستقلا

وثمانون في المائة بان أعظم أمير لبناني هو الامير فخر الدين المعني الثاني الذي أوصل حدود لبنان في الجيل السابع عشر من اطراف حلب الى اوائل فلسطين ولقبه سلطان تركيا « بسلطان البر » — يليه الامير الشهابي الكبير الذي نريد نقل رفاته من الاستانة الى لبنان احياء للروح الوطنية

ومائة في المائة بان سيوف اللبنانيين كانت العامل الاول في اخراج محمد علي باشا المصري واعادة سوريا الى تركيا في اوائل الجيل الاخير

ومائة في المائة أيضاً بان حدود لبنان الاصلية التي اغتصبتها الدولة تمتد من اعالي طرابلس الى صيدا ومن ساحل البحر المتوسط وفيه بيروت الى اطراف الشام وفيها سهل البقاع وجبل انتيلبنان المعروف بجبل حرمون او جبل الشيخ

ومائة في المائة بان المسألة اللبنانية مشكلة بين الدولة ولبنان لا تحل الا باستعادة لبنان حدوده المغتصبة وحقوقه في الكمرك والبريد — وان هذه المسألة يجب ان يطرحها المجلس الاداري امام محكمة أوربا التي تحمينا ولنا بها علاقة منذ بضعة اجيال بتقديم دعوى الديون التي لنا في ذمة الدولة

وثمانون في المائة بان مذابح الستين التي كان لمأموري الدولة اليد الاولى في اثارتها وصمة على جبين لبنان يجب ان يمحوها بنزع التعصب الديني وابداله بالتعصب الوطني

ومائة في المائة بان الدرزي أخ المسيحي في الوطنية، للاول مالثاني وعليه ماعليه وان أحسن متصرف جاء قبل المتصرف الحالي هو داود باشا الارمني الذي سعى

في تحسين شؤون الجبل وتوسيع اراضيه ، واسوأ متصرف هم كل المتصرفين الذين سبقوا متصرفنا الحالي

وان على اللبناني ان يحلم اليوم باستعادة الامارة اللبنانية ، ويساعد جمعيات المجاهدين المخلصة ليعود المهاجرون الى بلادهم ، وتعود الى لبنان حياته ومعها العز والفخار

. . . في ذلك اليوم . . . في ذلك اليوم يصبح اللبنانيون أمة حقيقة ويستطيع اللبناني ان يسمي جبله وطناً ، وان ينادي على رؤوس الملا بكل مباهاة وافتخار : « انا لبناني ! » « انا لبناني ! ! ! »

(المنار) : لولا هذه النقط التي أبهم بها الكاتب النتيجة ، لقال القارئ ان النتيجة جاءت أصغر من المقدمات ، لا متبعة أخس المقدمات كما يقول علماء المنطق. والمجال واسع امام من يريد انتقاد ما كتب الكاتب ، واهم مايهم دعاة النهضة العربية من ذلك جعل البلاد السورية أو طانا متعددة ، ومن فروع ذلك جعل هذا الكاتب اللبنانيين كلهم فينيقيين — على مذهب عبيد الله التركي الذي زعم ان نصارى سورية ليسوا عربا — وهذا خطأ مبين ، فان كثيرا من سكان الجبل يعرفون انهم من سلالة العرب ، ومنهم أمراؤه كبني معن و بني شهاب الذين يفخر الكتاب بكبيريهما الامير فخر الدين والامير بشير ، و بني رسلان وغيرهم من الدروز . والباقون من سلائل العرب والفينيقيين وغيرهم. ولكنهم صاروا كلهم عربا بتوحيد لغتهم ، وانما الجنسية باللغة فكثير من الاسبانيين من سلالة العرب ولكنهم لا يعدون الآن عربا

يظهر مما نشرنا ومما لم ننشر مما يكتبه غلاة الدعوة اللبنانية انهم يمنون أنفسهم بما ليس في طاقتهم ، يمنون أنفسهم بأن يكونوا دولة قوية مستقلة تمام الاستقلال ، منفصلة عن جدتهم الامة العربية وأمهم سورية نفسها ، لا عن الدولة العثمانية فقط. ولا يكون مثل هذا الاستقلال الا لشعب حربي قوي ، ولذلك يكثر أصحاب دعوة هذا الاستقلال من ذكر قوة الجبل وامتناعه عن الفاتحين ، وانتصاره على المصريين ، واخراجهم جيش محمد علي الكبير من سورية وردها الى الدولة ! والاسترسال في المبالغات التي ليس من موضوعنا البحث فيها . ولنسلم لهم حديثهم عن ماضيهم ، فانه لا يمنعنا من الجزم بأنهم لا يستطيعون ان يأخذوا بقوتهم شبرا من أرض الدولة ولا درهما من خزينتها ، وانما مسألتهم أوربية مفتاحها بيد الدول الكبرى ، فاذا هن اتفقن على إعطاء الجبل شيئا فهو الذي يرجى ان يأخذوه ، واذا لم يتفقن ففرنسة وحدها لا تستطيع ان تعمل للجبل شيئا . واذا استطاعت الدولة ان ترضي الدول بالغاء امتياز لبنان فانها تلغيه ، وخلاف فرنسة وحدها لا يحول دون ذلك . فمن يعرف هذه الحقائق يجزم بأن مؤسسي جمعية (الاتحاد اللبناني) في مصر ارسخ قدما في السياسة من سائر اللبنانيين . وان وراء ذلك كله سياسة مثلى لو قدروها قدرها ، ولم تحجبهم آمالهم بفرنسة وغيرها عنها !!

مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الاقلام

٤ — الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (تتمة ترجمته)

تصانيفه ورسائله

كان أثابه الله سيال القلم سيال القريحة ، سريع الذاكرة سريع المراجعة ، وقد كتب كثيرا من الكتب والرسائل تصنيفا وشرحا واختصارا لبعض المطولات ، أحصاها لنا بعض تلاميذه فزادت على السبعين ، وهو العقد الذي تعبر به العرب من الكثرة . وهذه أسماؤها مرتبة على حروف المعجم :

(١) الاستئناس ، في تصحيح أنكحة الناس . طبع في دمشق سنة ١٣٣٢ (٢) الانوار القدسية ، على متن الشمسية في المنطق ، كتب عليها الى آخر قسم التصورات (٣) ايضاح الفطرة ، في أهل الفترة (٤) الارتفاق ، بمسائل الطلاق (٥) ازالة الاوهام ، بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام (٦) افادة من محا ، في تفسير سورة والضحى (٧) اعلام الجاحد ، عن قتل الجماعة المتمالئة بالواحد (٨) الاقوال المروية ، في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية (٩) الاوراد المأثورة — مطبوع في دمشق (١٠) الاجوبة المرضية — مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ (١١) اصلاح المساجد ، من البدع والعوائد

(١٢) بذل الهمم ، لموعظة أهل وادي العجم (١٣) بديع المكنون ، في أهم مسائل الفنون (١٤) بيت القصيد ، في ديوان الامام الوالد السعيد (١٥) بحث في جمع القراآت المتعارف

(١٦) تعطير المشام ، في مآثر دمشق الشام (١٧) تعليقات على حصول المأمول لصديق حسن خان (١٨) تنوير اللب ، في معرفة القلب (١٩) تاريخ الجهمية والمعتزلة . نشر في مجلة المنار وطبع في مطبعتها سنة ١٣٣١ (٢٠) تنبيه الطالب ، الى معرفة الفرض والواجب — طبع في مصر سنة ١٣٢٦

(٢١) ثمرة التسارع ، الى الحب في الله وعدم التقاطع

(٢٢) الجواب الشافي ، عن سؤال السيد أحمد الحسني (٢٣) الجوهر الصاف ، في نقابة الاشراف (٢٤) جواب المسألة الحورانية (٢٥) جوامع الآداب ، في أخلاق الانجاب (٢٦) جدول في مخارج الحروف وصفاتها (٢٧) جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل — نشر في مجلة المنار

(٢٨) حسن السبك ، في الرحلة لوعظ قضاء البنك (٢٩) حياة البخاري .

طبع في صيدا سنة ١٣٣٠ (٣٠) حاشية على الروضة الندية

(٣١) درء الموهوم ، من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم (٣٢) دلائل التوحيد . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٦ « ٣٣ » ديوان خطب مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٥ .

«٣٤» رفع المناقضات، بين ما يزيد في العمر و بين المقدرات « ٣٥ » رسالة في الشاي والقهوة والدخان. مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٣ «٣٦» رسالة في أوامر من مشايخ الاسلام بالحكم بغير المذهب الحنفي . مطبوعة بعد نشرها في مجلة المنار سنة ١٣٣١ «٣٧» رسالة في المسح على الجوربين مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٢ « ٣٨ » رسالة في المسح على الرجلين .

«٣٩» زوال الغشاء ، عن وقت العشاء « ٤٠ » زبدة الاخبار ، عن أولاد الكفار « ٤١ » السطوات ، في الرد على منع العشاء قبل الصلوات

«٤٢» شمس الجمال، على منتخب كنز العمال « ٤٣ » الشذرة البهية في حل ألفاظ نحوية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ «٤٤» شذرة من السيرة المحمدية . مطبوعة بمطبعة المنار في مصر سنة ١٣٣١ «٤٥» شرح لقطة العجلان. مطبوعة في مصر سنة ١٣٢٦ « ٤٦ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول . مطبوعة في بيروت سنة ١٣٢٤ « ٤٧ » شرح مجموعة أربع رسائل في الاصول أيضا . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٣ «٤٨» شرح مجموعة ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٣١ . «٤٩» شرح مختصر المستصفى لابن رشيق .

« ٥٠ » الطائر الميمون ، في حل لغز الكنز المدفون . مطبوع مرتين سنة ١٣١٦ وسنة ٢٢ «٥١» طراز الحلة، فيما نقل من قول الرملي : وأقسام الاسم تسعة «٥٢» الطالع المسعود ، على تفسير أبي السعود (لم يتم) «٥٣» الطالع السعيد ، في مهمات الاسانيد

«٥٤» العقود النظيمة في ذكرى مولد النبي (ص) وأخلاقه العظيمة، ومحاسن شريعته القويمة « ٥٥ » غنيمة المهمة ، على كشف الغمة «٥٦» فصل الكلام ، في حقيقة عود الروح الى الميت حين الكلام « ٥٧ » الفضل المبين ، على عقد الجوهر الثمين ، ويعرف بشرح الاربعين العجلونية «٥٨» فتاوى الاشراف ، في العمل بالتلغراف . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ « ٥٩ » قواعد التحديث ، من فن مصطلح الحديث

٦٠ الكواكب السيارة ، في مدح القوارة ٦١ كتاب الفتوى في الاسلام . مطبوع في دمشق سنة ١٣٢٩ . (٦٢) كتاب ارشاد الخلق ، الى العمل بخبر البرق .

طبع بدمشق سنة ١٣٢٩ ، ٦٣ كتاب الاسراء والمعراج . طبع بدمشق سنة ١٣٣١ ٦٤ كتاب شرف الاسباط . طبع بدمشق ٦٥ كتاب (شرح العقائد) وهو كتاب كبير كتب الفقيد منه نحوا من مائتي صفحة ولم يتم ٦٦ اللف والنشر ، في طبقات المدرسين تحت قبة النسر ٦٧ لزوم المراتب ، في الادب مع الامام الراتب

٦٨ المسند الاحمدي على مسند الامام احمد ٦٩ منتخب الوسائل . مطبوع في دمشق سنة ١٣ ، ٧٠ مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام في الجن . طبع بدمشق سنة ٣٢٨ ، ٧١ ميزان الجرح والتعديل طبع في مصر سنة ١٣٣٠ ٧٢ موعظة المؤمنين ، من احياء علوم الدين . طبع بمصر سنة ١٣٣١ ، ٧٣ محاسن التأويل) وهو التفسير العظيم الذي يقع في اثني عشر مجلدا مع مقدمته التي كتبت في مجلد حافل

٧٤ النفحة الرحمانية ، على متن الميدانية . مطبوعة في دمشق سنة ١٣٢٢ ٧٥ نقد النصائح الكافية . طبع بدمشق سنة ١٣٢٨

٧٦ هداية الالباب ، لتفسير آية « وطعام الذين أوتوا الكتاب » ٧٧ الوعظ المطلوب من « قوت القلوب » ٨٧ وفاء الحبيب وحده ، في ايضاح جهة الوحدة (المسوقة في الفنارى) ٧٩ ينابيع العرفان ، في مسائل الارواح بعد مفارقة الابدان

اقول: ان بعض ما ذكرنا رسائل صغيرة مؤلفة من كراسة او كراستين او كراسات قليلة ، له او لغيره ، وبعض ما ذكرنا من الشروح عبارة عن تعليقات لا يصح ان تسمى شرحا ، وقد كتب الي في العام الماضي ان له كتابا في العبادات مقتبسا من كتب المذاهب مع بيان حكمة التشريع . كان اخذه منه الشيخ احمد طباره ليطبعه في مطبعته ببيروت ولم يعده اليه ، وعلمت مما كتب الي انه من اهم كتبه ، وكنت وعدت بتأليف كتاب في ذلك فسبقني رحمه الله اليه ، فتمنيت لو يطبع لأستغني به . ولعل هذا الكتاب وتفسيره الحافل هما اكبر مظاهر علمه واصلاحه ، على ان له رسائل مختصرات ، لا تغني عنها المطولات

سيقول كثير من الناس: إن لك عددت القاسمي من رجال الاصلاح ، وان أسماء كثير من هذه الكتب التي صنفها أو شرحها تدل على انها ليست من الاصلاح في ورد ولا صدر ، ولا تشتمل على عين منه ولا أثر ؛ فكيف يضيع العالم المصلح وقته في شرح لغز ، أو ما يعد أبعد عن الاصلاح من اللغز ؟

ويمكنني أن أقول : ان الرجل كان من خيار مصلحي المسلمين في هذا العصر وان لم يدخل كل ما كتبه في باب الاصلاح الذي يفهمه قراء المنار ، فسمى الاصلاح ومفهومه واسع ، وهو يختلف باختلاف الزمان والمكان ، والسن والعشراء والاقران ، والتلاميذ والمريدين ، وغيرهم من المخاطبين ؛ والمصلح لايخلق مصلحا بالفعل ، بل يخلق كفيره لايعلم شيئا ؛ ويكون الاستعداد للاصلاح فيه كامنا ، ثم تظهره التربية والتعليم ، وما يتجدد المرة بعد المرة له من العبرة والتأثير . فهل يطلب ممن عاش خمسين ، ترك فيها من هذه الكتب والرسائل نحو امن سبعين ، ان يكون جميع ما كتبه او شرحه اصلاحاً في الدنيا والدين ، مرضيا عند الكهول المجربين ، والشيوخ المحنكين ؟

طريقته في الاصلاح

حسب من نشأ وتعلم وتربى في أرض التعصب للتقليد ، والجمود على العادات والخرافات ، تحت سماء الاستبداد ، والحجر على الالسنة والاقلام ، — ولم تكن هذه المفاسد في الاستانة أشد منها في الشام — ان يكون بسلامة فطرته ، وعناية الله به ، مثل الشيخ جمال الدين القاسمي في استقلاله ، ونزاهته واعتداله ، ونظافة عقله وقلمه ولسانه ، وجرأته على مجاهدة الجمود والتقليد ، والجمع في احياء علوم اللغة والدين بين الطريف والتليد .

أما طريقته في الاصلاح وغايته منه فلم يكن فيهما على خطة مقررة من اول النشأة ، وانما كونتهما الحاجة بقدر استعداداليئة : فتح الرجل عينيه فرأى أطلال العلم في بلده دارسة ، وأعلامه طامسة ، وقد كانت مهاجرا يرحل الطلاب اليها ، فأصبحت مهجورة يرحل عنها . فكان الاصلاح الضروري فيها ايجاد نشء جديد من طلبة العلم يعلمون تعليما صالحا يرجى أن يحيا به وبهم العلم ، وقد كان سبب اختيار الشيخ لقراءة بعض الكتب ولكتابة بعض الشروح والتعاليق على بعضها ، هو الضرورة أو الحاجة الى تدريسها ، لا كونها صالحة في نفسها ، او محاولته اصلاح التعليم بها . مثال ذلك ما كتبه على شرح الفناري ومتن الشمسية في المنطق ، كان مما لابد منه ، لان طلبة العلم كانوا يمتحنون بهما لاجل اعفائهم من الخدمة العسكرية . وقيس مالم نعرف عذره فيه — كقراءة كتاب جمع الجوامع وشرح بعض المتون — على ماعرفنا عذره فيه

كمتن الشمسية وشرح الفناري، وكلاهما لا يصلحان للتدريس، في رأي العارفين بطرق اصلاح التعليم. ولو كان الشيخ في مصر لقلنا ان عذره في قراءة جمع الجوامع اعتماد الجامع الازهر عليه في الامتحان ونيل شهادة العالمية

لعلنا لو اطلعنا على جميع ما كتبه لظهر لنا من عذره ما لا يظهر لنا الآن . أو ننتقد منها ما لا نظن الآن انه منتقد . وحسب الرجل ان يكون مصلحا في سيرته ومجموع أعماله

قد اطلعنا على كتاب دلائل التوحيد وبعض الرسائل من مؤلفاته المطبوعة ، وقرظنا بعضها في المنار وبينا مزيتها فيه . ويمكننا أن نستنبط منها ومن مذاكراتنا القصيرة له ما نعده للقارئين من مزاياه ومزاياها

(١) ان القاسمي درس فنون اللغة العربية والعلوم الشرعية على الطريقة المألوفة في مدارس المسلمين منذ قرون ، وتلقى تلك الكتب التي اختارها المتأخرون للتدريس ، ورأى حاجة أهل البلاد الى بعض تلك الكتب لاجل امتحان الاعفاء من العسكرية ، وان المشتغلين بالعلم منهم يظنون أن العالم لا يكون عالما حقيقة الا بتحصيل كذا وكذا منها (كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني) فكانت هذه الامور الثلاثة أسبابا لمحافظته على بعض ذلك التليد

(٢) انه كان يرى ان ما يثبت بالدليل النقلي في النقليات والعقلي في العقليات وبالتجربة في المجربات لا تتلقاه بالقبول هذه الامة التي جمدت على التقليد، وبعد عهد جمهورها بالحجة والدليل ، الا اذا أيد بنقل عن بعض العلماء السابقين ، ولا سيما اذا كان من المشهورين ، فكان يرى هذا ركنا من أركان الاصلاح في التدريس والتأليف لاجل اقناع المستدلين والمقلدين معا، ونحن نجري على هذا في المنار والتفسير احيانا

(٣) انه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته وما مذهب السلف الا العمل بالكتاب والسنة ، بلا زيادة ولا نقصان ، على الوجه الذي كانوا يفهمونه في الصدر الاول . وقد اتهم — كما اتهم غيره من المستقلين — بأنه احدث مذهبا جديدا في الاسلام ، ولما كانت حادثة السعاية التي أشرنا اليها ، وذكرنا انه حبس فيها ، لغط حساده بهذه المسألة فقال يرد عليهم :

زعم الناس بأني　　مذهبي يدعى الجمالي
واليه حينما أف　　ي الورى أعزو مقالي
لا وعمر الحق اني　　سلفي الانتحال
مذهبي ما في كتا　　ب الله ربي المتعالي
ثم ما صح من الاخ　　بار لا قيل وقال
أقتفي الحق ولا أر　　عى بآراء الرجال
وأرى التقليد جهلا　　وعمى في كل حال

وقال ايضا في هذا المعنى :

أقول كما قال الأئمة قبلنا　　صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
أألبس ثوب القيل والقال باليا　　ولا أتحلى بالرداء المذهب

(٤) كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع ما يقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل . وكان لحرصه على الوفاق وجمع كلمة المسلمين يجتهد في اثبات حجة كل فريق من اصحاب المذاهب ، وتقريب احدهما من الآخر ، باظهار حجته أو شبهته ، وحكاية ما يعارض الخصم به . ومن كانت هذه طريقته فكثيرا ما يغضب الخصمين معاً . فيتهمه كل منهما بالتشيع للآخر . ثم اذا كان احدهما مصيباً والآخر مخطئا يتعذر على محب الاعتدال في الحكم بينهما ان يرضي باستحداث مذهب ثالث يجعله وسطا بينهما ، اذ ليس بين الحق والباطل وسط ، وانما يكون الحق وسطا بين باطلين ، او أباطيل ترجع كثرتها الى نوعين — الزيادة على الحق او النقص منه . وقد اتهم الفقيد بغض السلفيين بأنه خالف مذهب السلف في رسالته (تاريخ الجهمية والمعتزلة) التي نشرناها في المنار ، على شدة حرصه عليه وتحريه اياه ؛ وانتقدها بعض الشيعة كما يأتي . واتهمه بعض المستقلين بمغزة اخرى في رسالته (نقد النصائح الكافية) وهي ان حب الاعتدال وتقريب احد الخصمين من الآخر اخرجه عن الاعتدال في بعض المسائل ، ولكن بقصد الاصلاح وههنا مسألتان (أحداهما) أن المستقل في علمه وحكمه حق الاستقلال يتحرى

مايظهر له أنه الحق فيقوله ويحكم به وان أغضب جميع الناس عليه . وقصارى ما يستبيحه من ارضاء الناس أو استمالتهم التلطف في القول ، وتزيين الحق الذي ثبت عنده بحلي البيان وحلله ، دون ابرازه لهم عاري الجسد عاطل الجيد

(الثانية) ان الاصلاح بين الرجلين أو القبيلين من الناس فضيلة حث عليها الشرع وعرف حسنها العقل ، وقد أبيح فيها الكذب عند الضرورة عملا بقاعدة « ارتكاب أخف الضررين » فبالاولى يباح فيها التماس العذر لكل خصم فيما خالف فيه الآخر ، وتوجيه ماقام عنده من الحجة أو شبه الحجة . وهذه الطريقة في الاصلاح أقرب الطرق لارضاء المعتدلين من أهل المذاهب المختلفة، وأما الغلاة في التعصب لمذاهبهم فلا يرضيهم الا موافقتهم واتباعهم .

أما العمل بهاتين المسألتين واعطاء كل واحدة منهما حقها فهو عسر جدا، فان المستقل جد الاستقلال اذا تصدى للتوفيق بين الخصمين المتعصبين يغضبهما جميعاً وانما يمكن أن يرضي المستقل من كل فريق أو المستعد للاستقلال، اذا أوتي الحكمة وفصل الخطاب

ومن الآيات على ذلك أن رسالة (تاريخ الجهمية والمعتزلة) لم يكتب أحد في هذا العصر كتابة أعدل منها في التأليف بين فرق المسلمين الكبرى — وهم أهل السنة الأربعة والاشاعرة والمعتزلة والشيعة والخوارج — وقد كتب بعض علماء الشيعة ردا عليها قبل اتمام نشرها ، وهل يرضى شيعي بتعديل بعض الخوارج والرواية في الصحيحين عنهما ؟ وانكر بعض اهل السنة الأربعة بعض المسائل فيها كما تقدم. فأين هذه من تلك الرسالة التي كتبها احد علماء الشيعة للتوفيق بين الامة بزعمه او دعواه الظاهرة فكانت عبارة عن دعوة أهل السنة الى التشيع بتخطئتهم وتصويب الشيعة في جميع مسائل الخلاف ! !

أخلاقه وشمائله

كان من اكمل مارأيت في أخلاقه وآدابه وشمائله: كان أبيض اللون نحيف الجسم ربعة القد ، أقرب الى القصر منه الى الطول ، غضيض الطرف ، كثير الاطراق ، خافض الصوت ، ثقيل السمع ، خفيف الروح ، دائم التبسم

وكان تقيا ناسكا واسع الحلم ، سليم القلب ، نزيه النفس واللسان والقلم ، برا بالاهل ، وفيا للاخوان ، يأخذ ماصفا ويدع ما كدر ، عائلا عفيفاً قانعا

لا يطمع طمع مدنس اذا استمال طمع او اطمى

وقد بينا ما كان لاخلاقه الكريمة من حسن الاثر ، والوقاية من كيد الحاسدين والحاسدين ، والاعانة على الاصلاح

ومن حسن وفائه انه لم يقطع مراسلتنا ولا مراسلة الاستاذ الامام في ابان ثقل وطأة الاستبداد الحميدي ، اذ كانت مراسلتنا تعد من الجنايات السياسية التي تعاقب الحكومة صاحبها أشد العقاب ، ولكنه ترك التصريح بنقل شيء عنا كما يعلم من كتابه (دلائل التوحيد) وصرح لنا بذلك

وقد عبرنا عن بعض ماوجدناه من الحزن لفقده بكتاب وجهناه الى أهله، وكان من يعرف ما بيننا من الاخاء يعزينا عنه كما يعزى الاخوة في النسب. وما بيننا من أخوة النسب الروحي، أعلى من النسب الجسدي، على أن نسب امه يتصل بنسبنا أيضا

وحسبي أن أدون من تلك التعازي ما كتبه الي صديقي وصديقه علامة العراق ورحلة أهل الافاق، السيد محمود شكري الالوسي الشهير. وقد كتبت اليه مثل الذي كتبه الي بياعث القلب ، ولكنه سبق كدأبه في السبق الى كل فضل . وهذا ما كتبه بعد الالقاب ، وفاتحة الخطاب :

« أما بعد فقد نعت الينا صحف البلاد الشامية وفاة العلامة السيد جمال الدين القاسمي قدس الله روحه الزكية، فأمضّ ذلك الخبر قلبي وأفضّ لبي، وجرح فؤادي وطرد رقادي . وأحدث لي حزناً ملازماً ، وألما دائما ، وأورثني قلقا واخزا . وانزعاجا حافزا . وحيث كان المشار اليه من أعزة أحبابكم، وخلص أصفيائكم، مع ما كان عليه من الفضل الوافر ، والادب الباهر ، والورع الظاهر ، والنسب الطاهر ، والذب عن الشرع المبين ، وقوه الايمان واليقين ، ومناضلة الحائدين والملحدين ، وانه حسبما اعترف له الموافق والمخالف

أحيا به الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الاسلام
حكم على أهل العقول يثبها منعوتة الاوضاع والاحكام
ويريك في ألفاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الافهام

فاني اعزيك على فقده، وتوسده للحده، ومفارقته لهذه الدنيا الغدارة الخائنة المكارة ، فان نعيمها زائل، وكوكب سعدها آفل، فلا اوجع الله لك قلبا، ولا كدر لك خاطرا ولا لبا ، وللاسلام من طلعتكم الغراء ، سلوان عمن مضى من الفضلاء، وانما يجل الرزء اذا قل العوض ، ويكبر المصاب اذا عدم الخلف . فاما اذا كنت الباقي، وغيرك الماضي، وصرت الموجود، وسواك المفقود، فالفادحة خفيفة الوقع، مرؤبة الصدع ويد الدهر فيما نال قصيرة، ومنته فيما ترك كبيرة . هذا مع أسفي عليه كل الاسف، وتصاعد أنفاسي بمزيد اللهف، وقد جرت عليه من العيون عيون، فانا لله وإنا اليه

راجعون. نسأله تعالى ان يديمكم ركنا للاسلام، ومرجعا للخاص والعام، ويصونكم من طوارق الليالي والايام، تذكرة للسلف الاعلام » اه

وأقول ان مما يعزيني ويعزي هذا الاخ الكريم . والمصلح العظيم ، الذي لا استحق بعض ثنائه ، ولا يبيسيني نقصي كمال إطرائه ان أخانا الفقيد قد رباني وعلم افرادا من اخوته وغيرهم يرجى ان يقفو اثره، ويتلو تلوه ، وان كان نسيج وحده فتبقى بهم ديار الشام . آهلة ان شاء الله بالعلماء الاعلام. على مدى السنين والايام.

(٥ — جرجي بك زيدان)

قضى الله — ولا راد لقضائه — ان لا نفرغ من رثاء وترجمة رجال العلم الذين فجعت بهم الأمة العربية في هذه السنة في مصر والشام ، الا وقد رزئ القطران بفجيعة أخرى ، فقد فاجأت المنية في التاسعة والعشرين من هذا الشهر جرجي بك زيدان صاحب مجلة الهلال ، وأحد أركان النهضة العربية الحديثة ، فاجأته كهلا قد بلغ اشده واستوى، حسن الصحة تام القوى — وقد أتم في هذه الليلة تصحيح آخر كراسة من آخر جزء من أجزاء السنة الثانية والعشرين للهلال ، وآخر كراسة من كتاب تاريخ العرب . وتنفس الصعداء من تعب ليلة شعر بأنه ألقى عن عاتقه في أولها تعب عشرة أشهر ، ثم ألقى نفسه على سريره ليبدأ فيها باستراحة شهرين كاملين ، فغاضت نفسه فاذا هو قد ألقى عنها تعب ربع قرن في الجهاد العقلي كان هو القاضي على مادة ذلك الدماغ الذي يشبه معملا من معامل الكهرباء ، في السرعة والنور والحرارة والضياء، والمقوض لدعائم تلك الحياة الحميدة، حياة الجد والعمل والعفة والاستقامة. فاذا كان الجهاد العقلي قد صرع احمد فتحي باشا زغلول والاستاذ القاسمي بعد مرض طويل أو قصير ، فقد صرع جرجي بك زيدان من غير مرض ولا شكوى

فقدت الأمة العربية بهذا الرجل ركنا من أركان نهضتها الحديثة في العلم والأدب ، بعد أن نضج علمه ، واتسعت معارفه ، وكملت تجاربه ، وصار اقدر على اتقان خدمتها ، ومساعدة نهضتها .

نشأ الرجل عصاميا ، فقد ولد في أواخر سنة ١٨٦١ م من أبوين فقيرين اميين، ولكن يظهر انه كان له في الأرومة العربية عرق راسخ، فقد بحث عن أصل بيتهم — وكان يسمى بيت مطر — فانتهى به البحث الى ترجيح كونه من عرب حوران ، وكان يظن انه كان كثر الروم الارثوذكس في سورية من بني غسان .

تلقى مبادي القراءة والكتابة في بعض مكاتب بيروت الابتدائية . وكان يشتغل مع والده في مهنته لاجل المعاش، ولكن استعداده للعلم وعشقه للمدارس كان قويا جدا ، فكان يختلف الى بعض المدارس الليلية ، يتعلم فيها اللغة الانكليزية . ويبحث عن رجال العلم والأدب ويتقرب اليهم ، وانتظم مع طائفة من خيارهم في سلك جمعية شمس البر الادبية ، فازداد حبا للعلم ورغبة في طلبه ،

وكان بعض من آنس فيه الاستعداد من أهل العلم يقرأ له دروسا خاصة يستعد بها لدخول القسم الطبي من المدرسة الكلية الامريكانية الشهيرة ببيروت ، وبعد تحصيل قليل أدى الامتحان ودخل المدرسة فكان يتعلم فنون الصيدلة ويؤدي بعض الخدمة لاجل المعاش ، ولكنه ترك المدرسة في أثناء السنة الثانية لما كان عرض فيها من الاختلال الداخلي المعروف . وقصد بعد ذلك الديار المصرية ليتم دروسه في مدرسة القصر العيني فلم يتح له ذلك ، بل دخل في طور العمل والكسب

ان كثيراً من النابغين لم يقيموا في المدارس زمنا طويلا ، ومن الثابت بالاختبار ان طول الاقامة في المدارس تضعف ملكة الاستقلال ، فيخرج الطالب بعده مقلدا جامدا على ما أطال درسه ومزاولته . فان كانت سعة العلم لا تحصل الا في الوقت الواسع ، فالواجب ان يكون أطول زمن التحصيل خارج المدرسة لا داخلها ، وفي أثنا العمل بالعلم ، لا في أثناء تلقي نظرياته ومصطلحاته . وورب ذكي أو مجتهد يحصل من مسائل العلم في سنة ما لا يحصله غيره في سنين كثيرة . وما تحصيل المدرسة الا دلالة على طريق العمل بالعلم ، فمن يطلب العلم فيها لاجل الاستعانة به على العمل بعد الخروج منها ، فربما يكفيه القليل من العلم ، فيجعله أهلا للعمل الذي لا يكمل العلم الا به . واما من يطلب العلم لاجل نيل شهادة مدرسية يتوسل بها الى رزق لا يتوقف على دوام الاشتغال به والارتقاء فيه ، فهجرته الى ما هاجر اليه ، فهو يحصل ورقة الشهادة ، ولكنه قلما يكون عالما عاملا بعلمه مرتقيا فيه . وناهيك اذا كان طلبه للعلم بارادة ولي أمره ، لا بارادته الذاتية ورغبته .

أما فقيدنا اليوم فقد كانت نفسه العصامية هي الحافزة لهمته والباعثة له على طلب العلم ، وكان يقصد من العلم ان يعمل به فيفيد مالا وجاها يكون به في مقدمة امته لا في ساقتها . ولذلك حصل بجده وقوة ارادته في الزمن القليل ، ما مكنه من العمل الذي عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا ، وأوسع في العلوم والفنون عرفانا . وأما اذا اتفق لمثل صاحب هذه الهمة والارادة تحصيل المقدمات تامة من أول النشأة ، فان عمله يكون أقوم ، وسيره فيه يكون اسرع وأتم .

اشتغل الفقيد عقب هجرته الى مصر بالتحرير في جريدة يومية اسمها الزمان نحوا من سنة ، ثم سافر مع الحملة النيلية الانكليزية الى السودان مترجما في قلم المخابرات ، وشهد بعض وقائع الحرب في السودان ، ومكث هنالك عشرة أشهر ، ثم عاد وسافر الى سورية فاشتغل فيها مدة بدراسة اللغتين العبرانية والسريانية . ثم الى بلاد الانكليز . ثم عاد الى مصر فندبه أصحاب المقتطف الى مساعدتهم في ادارته فتولاها سنة واشهرا ، ثم استقال منها وانصرف بكل همته الى التأليف فألف تاريخ الماسونية ومختصر التاريخ العام وتاريخ مصر الحديث . ثم تولى ادارة

التعليم بالمدرسة العبيدية سنتين

وفي أواخر سنة ١٨٩٢ ميلادية أنشأ مجلة الهلال ، وجعل جل عنايته فيها بالتاريخ والاخبار العلمية ، وجعل لها ذيلا من القصص (الروايات) الغرامية الممزوجة بتاريخ الاسلام ، فظهر من خطته فيما ينشئ وينقل أنه من أقدر من اشتغل بالصحف العربية والتأليف في هذا العصر ، أو أقدرهم على جذب جمهور القراء الى ما يكتب ، بمحاولة جعل ما يكتبه لذيذا سهل الفهم ، كالطعام اللذيذ سهل الهضم ، وكان يختار في كل وقت ما يناسبه ، وفي كل حال ما يلائمه ، فاذا ألمت ملمة ، أو حدثت حادثة مهمة — كالحروب وما شاكل الدول وموت الملوك والكبراء — بادر الى كتابة ما يتعلق بذلك من مباحث التاريخ القديم والحديث ، مزينا له بما يتعلق به من الصور والرسوم .

وكان سلما نزيه القلم ، يتقي كل ما يثير غضب أصحاب المذاهب الدينية ، والاحزاب السياسية ، ولكنه لم يسلم مع ذلك من اتهام بعض سيئي الظن من المسلمين والنصارى ، فقد اتهمه بعض الاولين بتعمد الطعن في الاسلام بغربة يفتريها ، أو دسيسة يدسها ، وكانوا يستدلون على ذلك ببعض الاغلاط التي وقع فيها ، أو تصوير بعض المسائل بغير الصورة التي يعرفونها ، لفهمها بغير الصفة التي يفهمونها ، ورد عليه بعض هؤلاء في المؤيد . وطالما رددت على بعضهم مبرئا له من سوء القصد ، لما لي فيه من حسن الظن . وأشرت الى ذلك في المنار غير مرة .

وقد حدثني ان بعض سيئي الظن من النصارى قد اتهمه بضد ما يتهمه به بعض المسلمين : اتهموه بمصانعة المسلمين ومحاباتهم ، ومدح الاسلام والمسلمين تقربا اليهم ، لاجل الكسب منهم . ولا يسلم من ألسنة الناس أحد ، كيف وقد كفروا بالواحد الاحد ، الفرد الصمد ، سبحانه وتعالى

نعم انه قد ظهر منه بعد الانقلاب العثماني نزعة جديدة ، تقدمتها نزغة عدت احياء لمذهب الشعوبية : ذلك بأنه زار الاستانة ولقي فيها بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي ، ثم عاد متشيعا بالنهضة التركية ، مستنكرا مجاراة العرب لاخوانهم الترك بالقيام بنهضة عربية ، مستهوبا خطة الاتحاديين الاولى من تتريك العناصر وادغام العرب في الترك . وقد كتب في الهلال ما يشعر بهذه النزعة ، فهاج ما كتبه جماعات فتيان العرب في الاستانة وسورية ، وكادوا يحملون عليه في الصحف ردا واحتجاجا ، ولكن حالت دون ذلك معارضة مسموعة مقبولة

وأما النزغة التي سبقت هذه النزعة ، فهي مطاعن للفقيد في العرب أودعها في تاريخ التمدن الاسلامي فطن لها أخيرا من لم يكن يحفل بها . وزادهم التفاتا اليها ترجمة جريدة (إقدام) التركية لتاريخ التمدن الاسلامي ونشره فيها بالتتابع . فتشاور كثير من

الشبان المتعلمين في الرد على هذا التاريخ ولم يظهر منهم شيء . ثم اتفق أن انبرى للرد عليه في هذه المسألة الاستاذ الشهير الشيخ شبلي النعماني من أشهر علماء الهند وأوسعهم اطلاعا في التاريخ. وكتب الينا هذا الاستاذ الكبير وهو صديقنا وصديق فقيدنا المردود عليه يخبرنا بما شرع فيه من الرد، ويقترح علينا أن ننشر رده في المنار، ولما كنا نعهد من الفقيد تلقي الانتقاد عليه بسعة الصدر، بل عهدنا منه مطالبة الكتاب بهذا الانتقاد ـ ونعلم ان الاستاذ الشيخ شبلي النعماني صديقه ـ ونرى ان تمحيص هذه المسألة اصبح ضروريا ـ بادرنا الى نشر الرد من غير أن نقرأه ، بل نشر في أثناء رحلتنا الهندية، ثم قرأناه بعد عودتنا من الهند وعمان والعراق وسورية فرأيناه فوق ما كنا نظن من شدة الرد ، ورمي الفقيد بسوء القصد . وكنا علمنا من المنتقد عند لقائه في الهند أنه كان يرى بعض الغلط في تاريخ التمدن الاسلامي وغيره من مؤلفات صاحبه فيحمله على الخطإ أو سوء الفهم ، ولكنه لما قرأ مجموع طعنه في العرب جزم بأنه صادر عن سوء قصد . فهذا سبب شدة حملته عليه ، على ما كان من موادته له . وقد كتبنا مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي اذ طبع على حدته بينا فيها ذلك ، واننا لو اطلعنا على ما فيه من الشدة قبل نشره ، لراجعنا الكاتب فيه واستأذناه بحذف الطعن الشخصي منه ، وقد نشرنا تلك المقدمة في المنار تعزيزا لدفاعنا السابق بالقلم واللسان، عن رجل عددناه صديقا لنا ، وعضوا نافعا في أمتنا ، على اننا لم نسلم مع ذلك من سوء ظنه فينا :

نقلت وطأة رد الشيخ شبلي النعماني على الفقيد لشدته ، ولأنه كان يعده من أصدقائه ، واثنى عليه غير مرة في هلاله ، فلم يصدق أولا انه هو المنتقد ، واتهمنا بذلك ، وكتب الى الشيخ شبلي كتابا ذكر فيه ذلك، راجيا ان يكتب اليه متصلا منه ليبين ذلك في الهلال ، ويظهر ان النقد لصاحب المنار ! ! وقد اطلعني الاستاذ الشيخ شبلي على كتابه ذاك في (لكهنؤ) أيام كنت فيها ، ورأيته متعجبا منه ، فكان عجبي أشد من عجبه . وقد ذكرت للفقيد ذلك معاتبا ، فكان حقي عليه في سوء ظنه بي ، أكبر من حقه علي في نشر النقد ـ وقد نشر في غيبتي .

وقد اتفق لي مثل هذا مع كاتب سوري آخر ، كانت حقوق الصحبة بيني وبينه أقوى منها بيني وبين جرجي بك زيدان، وكنت أثني عليه للاستاذ الامام واستميله لمساعدته ، فكتب الى الاستاذ كتابا يطعن بي فيه ، ويتهمني بتنفير الاستاذ عنه ، والطعن فيه عنده ، فتعجب الاستاذ من أمري وأمره !!

أما مؤلفاته فهي مطبوعة مشهورة وهاك أسماؤها :

١ التاريخ العام
٢ تاريخ مصر الحديث ـ جزآن

٣ « التمدن الاسلامي . خمسة أجزاء
٤ « العرب قبل الاسلام . جزء واحد
٥ « الماسونية العام «
٦ « اليونان والرومان « صغير
٧ « انكلترة « لم نره
٨ « اللغة العربية «
٩ « آداب اللغة العربية – ٤ أجزاء
١٠ الفلسفة اللغوية. جزء صغير
١١ انساب العرب القدماء «
١٢ علم الفراسة الحديث «
١٣ طبقات الامم «
١٤ عجائب الخلق «

(١٥ – ٣٦ قصص (روايات) منها ١٨ قصة تتعلق بتاريخ الاسلام وثلاث تتعلق بتاريخ مصر ، وواحدة غرامية محضة .

وأما أخلاقه وشمائله فقد كان أديب النفس، نزيه اللسان والقلم، بشوش الوجه معتصما بجبوة الجد ، متنزها عن اللغو والعبث، محبا للنظام ، حفيا بالأهل، وصولا للرحم ، محبا للقريب

ورأي فيه أن عقله كان اكبر من علمه ، ومن فضل عقله على علمه حسن اختيار ما كان يكتب، وحسن ترتيبه وتبويبه، فقد كان في هذا وهو من ثمرات العقل أبرع منه في تحرير المباحث وتنقيحها ، وتمحيص الحقائق بالقول الفصل فيها . وسبب ما انتقد وما ينتقد من الغلط على كتبه بحق، هو أنه كان يقدم على الكتابة في مباحث لم تسبق له دراستها ، معتمدا على مراجعتها من مظانها عند الحاجة اليها ، ومن كان يكتب المقالة في يوم أو ايام أو ساعة أو ساعات، لاجل أن تنشر في مجلة شهرية ، ويؤلف الكتاب في عدة أشهر لانه وعد بنشره في وقت معين من السنة ، قلما يستطيع أن يجمع بين المواد وتنسيقها وترتيبها ، وبين تمحيص الحقائق فيها وتحريرها . ولعمر الانصاف انه ليقل من يستطيع كتابة تلك الكتب في مثل الزمن الذي كتبها فيها مصنفها، وهل يوجد في أمتنا كثير من أمثال من فقدته اليوم؟

وقد ترك للامة ما يعزيها عنه – تلك المصنفات الجامعة بين الفائدة واللذة ، ونجله النجيب أميل زيدان الذي أحسن تعليمه وتربيته . وقد رأى قراء الهلال من آثار قلمه فيه، ما يبشر باستمرار بزوغه عليهم ما داموا مقبلين عليه موازرين له ، « ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده »